منهجية التأثّر والتأثير في الأدب المقارن من خلال السّرد الجزائري الواقع والآفاق

أ.ميلود سي طيب
جامعة عبد الحميد بن باديس ، مستغانم – الجزائر

تاريخ الارسال: 15-02-2020 تاريخ القبول:01-04-2020 تاريخ النشر: 30-06-2020

الملخص:

اعتبر التأثير والتأثّر من أهم الرّكائز التي اعتمدها الباحث المقارن في تقصي مجال " الآخر" والبحث عن نقاط الاتّصال بين القوميات وآدابها من خلال السّرد خاصة .فما هي المنهجية المتّبعة في الدّراسات الأدبية الحديثة والمعاصرة من خلال التأثير والتأثّر ؟هو ما سنجيب عنه في ربط المنهجية المتّبعة في الدّراسات المقارنة بين الماضي والحاضر والتّطورات التي شهدتها عبر آفاق هذا المجال في الدّرس الأدبي المقارن.

الكلمات المفتاحية : الأدب المقارن ، التأثّر والتأثير ، المنهجية ، السّرد

Abstract:

The impact and influence were considered one of the most important pillars adopted by the comparative researcher in investigating the field of the "other" and searching for points of contact between nationalities and their literature through narration in particular.How did this field evolve between the past and the present?

Key words: comparative literature, influence and impact, methodology, narration

مقدمة:

كان الأدب المقارَن منذ بدايته نقطة التقاء الثقافات وانفتاح الأمم ، ولعلّ المفاهيم التي ارتبط بها أساسا كانت لضبط التواصل وتسالك اللّغات والمضامين ، ومن ذلك انبثقت مع مرور الزّمن بعضٌ من التّخصّصات والمناهج كالصورائية ، الظاهراتية ، التأثّر والتأثير والتّرجمة والاستشراق .. وقد سار بعضها جنبا إلى جنب رفقته ، وانفرد البعض الآخر محقّقا الناتج المُضْفي للأدب المقارن من جهة من جهاته .

اعتبرت ظاهرة التأثّر والتأثير من اهمّ المناهج التي عرفت ملازمتها الدّرس المقارن من الناحية التطبيقية على الخصوص ، إذ أخذت الصدى في ذلك الرّبط والاتّصال ، وسنحاول في هذا البّحث أن نثري فكرة هذا الأخير في إطار تأثير شعب في آخر وتأثّره في إطار تبادلي للآداب والفنون واللّغات ، وهذا بغية الإجابة على مدى تطّور هذه المنهجية في الدّراسات الجزائرية من خلال السّرد الذي كان الإطار الأصل للظهور والتطوّر، وقد تمّ اختيار مجموعة من الأعمال التي ألمّت في طريقة تتبّع التأثّر والتأثير المختلف .1 .

التأثّر والتاثير في الأدب المقارَن :

حاول الباحث المقارن أن يجمع أفكاره ويقرأ "الآخر" في سياق تأثّره به وبالمكان ، وقد درس في المقابل تأثيره في أدب وثقافة الأمم والقوميات خارج إطار وحيّز بيئته ، في سياق هذا نشأت نظرية التأثّر والتأثير ، واعتبرت ركيزة مصاحبة لمختلف البدايات والتّطوّرات المتعلّقة بالأدب المقارَن ((التأثير أروج مصطلحات الأدب المقارن ذيوعا))[1]

وقد ارتبط هذا المصطلح بالأجنبي ومادته ، فلا يدخل التأثير في إطار القومية الواحدة ميدان الدّراسات المقارنة في حين تعدّدت مادة التأثيرات ، فمنها ما ولج مجال الكتاب الواحد ومنها ما تعلّق بعلاقة أديب بما بعده ، وفيها من تتبّع فكرة المذهب وعلاقته بوجود مذاهب أخرى . كما ارتبط هذا المجال بالمنهج التّاريخي الفرنسي في ظهوره . ورغم أنّ امتداده هو ما شهدت عليه المدارس الأخرى إلا أنّ ما يلفت الانتباه هو تركيز معظم الدّراسات الفرنسية على التأثّر والتأثير في إطار تاريخي محظ ميّزته النظرة الفوقية لمركزية الثقافة الفرنسية على الآداب المتأثّرة طبعا، مادام هي المركز المؤثّر((وكانت النتيجة الطبيعة أنِ احتلت العوامل المؤثّرة في الأدب المكان الأوّل من عناية الباحثية المقارنين في حين احتلّ الأدب نفسه وهو موضوع الدّراسة المكان الثّاني))[2] . وقد اشترط في تلك التأثيرات ما يربطه الجانب التاريخي بينها، إذ يتمّ هذا على أسس متعدّدة كالترجمة ، الرّحلة ،الاستعمار ...

ولعلّ هذا ما خيّم على عمليّة التأثير والتأثّر في بدايتها مع التاريخية الفرنسية التي كانت من المنطلق الذي استمرّ مع المدارس اللاحقة ، وانتشر في الدول الأوروبية المجاورة ، فأصبحت آدابها الأساس والمنطلق لهذا التأثير ، ومن ذلك ما نجده في بعض الأعمال الكبرى كتأثير شكسبير ومسرحه ، وتأثير غوته وقصصه ، وفلوتير وشعره ... غلب الجانب الجمالي في إطار وضع الأدب المؤثّر والمتأثّر في مسار توافقي واحد من خلال المدرسة الأمريكية التي لم ترفض التاريخية الفرنسية كاملة وإنّما كسّرت نوعا ما تلك المركزية ،مركّزة في الأساس على التشابه بين الآداب دون اللّجوء إلى الصّلات التاريخية التي تربطهما ، ودراسة تأثيرات تلك الآداب في مضمونها والعناصر التي شكّلتها في إطار المقارنات بينها .

وفي هذا ما يبيّن أنّ الدّراسات المقارنة في إطار حركية التأثير والتأثّر تطوّرت ، فأصبحت تركّز على الأدب في حدّ ذاته أكثر من التّركيز على الظاهرة لوحدها((فهم يرون أنّ مؤرّخ الأدب عندما يدرس تأثّر العمل الأدبي بغيره يفتّت العمل الأدبي إلى جزيئات يتناول بعضها في دراسة تأثّر العمل في هذه الجزئية أو تلك ولا يتناول العمل الأدبي بكونه تشكيلا فنيّا متكاملا)) [3] إذ نجد من الرّفض ما يحيط بنظرة الباحث الأمريكي لنظرية التأثير والتأثّر ، رغم هذا بطريقة أو أخرى تظلّ في إطار دراساته ولكن حسب المفاهيم النّقدية للمدرسة الأمريكية. وكما حافظ التأثير والتأثّر على مسار تواصله متجاوزا النظرة الفوقية لآداب بعض الدّول ، حافظت المدرسة السلافية على استمرار المنهج الأمريكي في بعض جوانبه . وفي إطار التأثيرات كان التركيز على الجانب الاجتماعي الفاصل في هذه العملية فدرس الباحث السّلافي مقارناته في إطار التقارب في التركيبات الاجتماعية الوطنية في أغلبها ((الانتهاء إلى أنّ دراسة التأثيرات والمصادر الوطنية تضع عبر مقارنة البنية المتميّزة لخصوصية الوطني وأصالته ، من ثمّة نلاحظ أنّ المدرسة السلافية لا تتخلّى عن التشديد على الخصوصية الوطنية في حديثها عن الدّرس المقارن)) [4] أمّا في المدرسة العربية فقد ميّز ظاهرة التأثير والتأثير في الأدب المقارن الكثير من المعادلات المختلفة ،ولعلّ هذا حال الأدب المقارن عامة ، ومن أسباب ذلك الكثير منه نقل تلك المصطلحات من الغرب جميعهم ، فكلٌّ كان انجذابه إلى جهة من الجهات ، ما جعل تحديد مسار هذا المنهج عربيا يشهد نوعا من الصّعوبة ،رغم هذا في المتداول المعروف أنّها حاولت تجميع التطلّعات المشتركة ((من ثمّة، فالتأثيرات تتخذ عدة أشكال في ظهورها وهي مباشرة وتاريخية ، في فترة النّهضات الأدبية ، وهي ضمنية في

فترة ازدهار الآداب ومواجهاتها لأنماط معرفية وحضارية متشابهة في كلّ تطوّر أدبي))[5] وقد كان من بين هذه الأنماط المتشابهة ما وضع صرحا لمنهجية التأثير والتأثّر كالرّحلات وقراءة الآخر في الأدب المقارن من خلال علم الصورة الأدبية .

وقد بدأ مجال التأثيرات مصغّرا في إطار احتكاك العرب بالغرب كالكلاسيكية ، تأثّر الغرب بألف ليلة وليلة ، المصادر العربية للكوميديا الإلهية وغير ذلك ، وتطوّرت هذه الدّراسات فيما بعد لتصبح مباشرة ، كما فعل رواد الأدب المقارن في تبيان ذلك .

2. التأثّر والتأثير في الجزائر:

لقد كانت التأثيرات الأدبية وغيرها أكثر نشاطا في البيئة العربية بعد زيادة الوعي في الانفتاح بين القوميات ، وكباقي البلدان العربية ميّز هذه الظاهرة في الجزائر الحفاظ على المنطلق التاريخي كأساس اعتمدته لتحرّي نقاط التشابه ودراسة التأثير ، ولم يبق هذا على وتيرة واحدة إنّما حدث التّطوّر جراء ما خضع له الأدب المقارن والآداب نفسها ،وقد شملت عدة مجالات من تأثير أدب في أدب آخر ، وتأثير أديب في أدب آخر .

وقد وُجِد هذا منذ البدايات الأولى للأدب المقارن في الجزائر بظهور مجلّة الدّفاتر الجزائرية للأدب المقارن لـ "جمال الدّين بن الشّيخ" ومن الأعمال التي طرقتها في هذا الإطار " المصادر العربية لنصّ "ج.ل.بورجس"، أمّا فيما بعد((نسجّل في الجزائر دراسة الأستاذ"عبد الإله ميسوم " الموسومة بـ " تأثير الموشّحات في التروبادور" "1981" ،ودراسة الباحث" عباسة محمد" الموسومة بـ" أثر الشّعر الأندلسي في شعر التروبادور منذ نشأته حتى القرن الثّالث عشر ميلادي"))[6] وقد شهد الأدب المقارن في الجزائر قفزة ملحوظة من خلال التطبيقات خاصة ، إذ اكتملت مفاهيم هذا الأدب وتوضّحت المصطلحات والمناهج فما كان على الدّارس المقارن إلّا أن طرق باب الترجمة من خلال التأثيرات التي مسّت الآداب ، خاصة وأنّ هذا الميدان كان سهلا من حيث إخضاع الدّروس الأدبية والفنيّة له والوصول إلى النتائج ، وكان العمل المقارن ضمن إخضاع الأدبيات والفنون لمجال التأثيرات المختلفة تحدّيا حقيقيا للمقارِن الجزائري وغيره ممّن تتبّعوا سبل التّواصل بين الأدب الجزائري وغيره من الآداب ، إذ حتمّ عليه اختلاط في المصطلح وكذا في التّطبيق ، ومن ذلك ما نجده من أعمال تصبّ في خانة التأثيرات دون أن تركّز على المصطلح ، وهو ما سنفصّله في العنصر الموالي .

3- التأثّر والتأثير في السّرد الجزائري:

3-1- السّرد الجزائري : لا بد من أن نعرّج إلى أنّ السّرد الجزائري طرأ عليه الكثير من التّحولات بفضل الظّروف التي مرت به ، وقد كان أبرزها الثّورة ، فاصطبغ هو الآخر بكل تفاصيلها ما جعله انعكاسا لمضمون ثوري خالص ، فقد كانت بداياته وليد الاستعمار ((من هنا كانت القصّة الجزائرية نتاجا ملتزما إزاء اتّجاه تتلاءم في الظّروف الخارجية مع الظّروف الدّاخلية))[7]

وقد كانت هذه الظّروف فيما بعد سببا أساسا في ولوج عالم الأدب المقارن إذ خضعت في الأصل إلى التأثّر حتى خرجت إلى الوجود ، وحملت معالم التّحوّل نحو التعبير عن متطلّبات الشّعب الجزائري ، وقد كان هذا التعبير ظاهرا في التّحدي الذي كان واقعا زمن الثّورة وفق ما أوجده الأجنبي من ضيق في سبيل عدم إيصال تلك السّرديات إلى الواقع ((من أكثر الأجناس الأدبية تطوّرا في الأدب الجزائري ، وأقدرها على توضيح الحقيقة الجزائرية أمام القارئ بتقديمها مختلف الإجابات على مختلف المشاكل التي تبرز أمام الشّعب الجزائري)) [8]

ومن هذا كانت الانطلاقة الحقيقية للسّرد الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى، والتي فتحت عيون الجزائريين نحو المستعمر ما جعلهم يكشفون النّوايا الحقيقية التي أخفاها أكثر من سبعين سنة ،فكانت قصة " السعفة الخضراء " لأبي القاسم سعد الله ، ومولود فرعون وقصته " ابن الفقير " ، اللذين استطاعا أن يعكسا الواقع الاجتماعي المرّ الذي أوجدته فرنسا ، ومقاومة الشّعب المريرة أثناء حرب التحرير .

وبقي السّرد ملتزما بالتّاريخ والوطن ، حين استمرّ السّرد في هذا السّياق بعد الاستقلال ، خاصة وأنّ الشّكل الفنّي لهذا اللّون الأدبي لامس العالمية ، بعد عودة البعثات ، وإطلاق الحريات ((ولو أردنا أن نصنّف الموضوعات التني دارت حولها القصة الجزائرية بعد الاستقلال ، لوجدنا أنّ معظمها عن الثورة،وما يتصل بها)) [9] وهو اعتراف لأبرز الكّتاب الذين عاصروا الثورة وما بعدها ، وأنصفوا القصّ حقّه ، وجعلوا موضوعاته مرتبطة ارتباطا روحيا مع الوطن "كالرصيف النائم " لزهور ونيسي و " طعنات " للطاهر وطّار " ،"فتاة الغزوات " لعثمان سعدي" ،وغيرهم كثير في ربط الوطن بين حاضر الحرية وماضي الثورة ، وفي امتداد الكفاح القصصي كسلاح له تأثير واضح بالواقع المتغيّر ، الواقع الذي انعكس أيضا في التأثيرات المقارنة على السّرد العربي ، كما سنوضّح في الأعمال التطبيقية

3-2 ـ التأثّر والتأثير في السّرد الجزائري:

كما تمت الإشارة سنحاول أن نصف مدى التأثير الذي أحدثه الفرنسي في العمل السّردي الجزائري من خلال " أثر الفرنسي في ثلاثية مولود معمري معمري الرّوائية " للباحثة عايدة شريفي ، فقد كان هذا البّحث في إطار تأثير الأجنبي في أدب الغير، والثّاني هو تأثير أدب في أدب آخر من خلال " تأثير الرّواية الجزائرية في الرّواية الفلسطينية"لـ رائدة عبد اللّطيف حسن ياسين ،ووضع العملين مع بعض في حدّ ذاته إطلالة أخرى لحركية التأثّر والتأثير والتّطور الذي وصلت إليه هذه الظّاهرة في الأدب المقارن في البحوث المختلفة الأكاديمية منها خاصّة. أمّا البّحث الأوّل فقد اختيرت فيه الثلاثية التي عرِف بها " مولود معمري " " الهضبة المنسية، غفوة العادل ، الأفيون والعصا" وكان قيّما في إطار تسليط الضّوء على مفهوم التأثّر والتأثير وكذا المؤثّرات الأجنبية المختلفة على الأدب الجزائري باللّسانين الفرنسي والعربي وتأثيره هو الآخر((وقد أكّد النّقاد الفرنسيون خلال القرن العشرين أهميّة الإسهامات الجزائرية في الأدب الفرنسي ، وقد جاء ذلك في وقت نضبت فيه مصادر الوحي والإلهام الفرنسية ولم يجد الكتّاب مواضيع جديدة ولا أفكار مبتكرة ، فقد أصبحت الجزائر الأرض الخصبة لرواياتهم) [10] وهذا من خلال التأثيرات الجزائرية في الكتاب الأوروبيين عامة ، الفرنسيين خاصة ومنهم "يوجين فرومنتان" في مؤلفه" صيف في الصّحراء" وألبير كامو في روايتيه" الغريب" و" الطاعون"، ورغم أنّ بعض هذه المؤلّفات طرق باب الصورلوجيا إلّا أنّ فيها ما لامس التأثير ((إنّ تأثير الطبيعة الجزائرية قد طغى على فكر كامو وأدبه بصورة واضحة للعيان لا تحتاج إلى بيان))[11]

ولعلّ ما وضِح في هذا السّياق من الدّلائل التي تؤكّد ما كان من تأثير جزائريّ نحو " الآخر" ترجمه هذا الأخير معجبا بجمال المكان أو المجتمع ومكوّناته ، أمّا ما يدخل في التّطبيق الذي اختارته الباحثة ما تعلّق بالأدب المكتوب بلغّة "الفرنسي " إذ كان لصبغة اللّغة الأثر الإضافي في التأثيرات المختلفة على هؤلاء الكتّاب ، الرّوائيين منهم وقد مثّل "مولود معمري" واحدا من هؤلاء .

فصّلت الاستاذة " عايدة شريفي" الأدب المكتوب باللغة الفرنسية وما دار حوله ، فذكرت المراحل التي مرّت بها هذه الكتابات ، ملّمة بالجوانب المختلفة التي صاحبتها كالجانب التاريخي والفنّي وغيرهما ، ومن ذلك نرى أنّ الدّرسات التي خضعت إلى التأثّر والتأثير حتى وإن ركّزت على فترة زمنية معيّنة في التّطبيق، إلّا أنّها لم تهمل التّطورات التي حدثت في الجوانب قيد الدّراسة كالرّواية الجزائرية بلغة العدوّ في هذا الإطار .

أمّا الثّلاثية والمؤثّرات التي صاحبتها فنجد الباحثة قد وسّعت ميدان التأثير على حياة الأديب وأدبه ، أمّا الجانب الأوّل فمِيزات التأثير فيه تمتدّ من ثقافته المتغيّرة المركّزة على الثّقافة الغربية والتي لم تغيّر هويّته كاملة ،إنّما امتزجت بالانفتاح الذي كان طبيعيا جراء حياة الأديب هناك، ولم يمنعه هذا من رفضه القاطع للاستعمار ((كان مولود معمري يرى أنّ الاستعمار الفرنسي ليس نظاما سياسيا واقتصاديا مبنيا على السّطو والعدوان واللّصوصية فحسب ، بل هو نظام يستمد فاعليته من نظرة رجعية تحتقر البشر))[12]

ولعلّ هذه الرؤية تنعكس فيما بعد في البطل الذي يرسمه الرّوائي في رواياته ،ففي "الأفيون والعصا" نجد أنّ الرّواية حتى من خلال عنوانها تعبّر عن ذلك التأثّر الذي زرعه الفرنسي في الأدب الجزائري ، السّردي منه خاصة ، فقد كان اختيار الرّوائي لهذا العنوان مناسبة للمواجهة إذ يركّز على الجانب الاستهزائي لإثارة العدوّ وهو الذي تعلّم هناك وجنّد بعد أن نفي من بلاده ، وكأنّ الجزائريين لا ينفع معهم مهما فعلت فرنسا ، فالتأثير يتحوّل في هذا الإطار إلا تأثّر بالظروف ((فلم يستطع كاتب أن يصوّر بهذا العمق تلك المعاناة النّفسية التي يعيشها الفرد الجزائر العادي والفرد المثّقف ، والبرجوازي الصّغير أمام تلك التجربة كما يصوّرها معمري))[13] وهذّا التصوير يرجع إلى التأثرّ الذي حدث للكاتب حين كان هناك ، تاثّر حضاري ثقافي يجرّد الأديب من هويته الأصل التي ظلّت قابعة في ذاكرته وهو ما نلمحه في ثلاثيته التي كانت تحاكي البيت القبائلي وما يحدث فيه من معاناة وصراع .

ذكرت الباحثة المؤثّرات التي انعكست بقوّة في الرّوايات ، من شخصيات فرنسية كالحاكم " كوميسارا ، جنديا ، ضابطا ، عسكريا" ، وكذا المثقف الفرنسي كالأستاذ ، وما يلاحظ من خلال المسعى الذي وضعت له تلك الشّخصيات وما صاحبها من ملامح أنّ التأثّر كان إيجابيا وسلبيا بكلّ موضوعية ، ولعلّ هذا ما كانت تقتضية هذه الدّراسة في الاتّجاه الثّاني من المسار التاريخي الذي كان يحكم هذه الدّراسة ((لقد جاء كلام الروائي "مولود معمري" عن السيّد "بواري" بوصفه غائبا دوما وليس حاضرا ،إلا في قلوب تلميذيه "أرزقي ومدرور" فالالتحام بينه وبين بقيّة الشّخصيات يكاد يكون معدوما ولكن هذا لايعني أنّه لم يؤثّر فيها بل على العكس))[14] فالتأثير الحضاري في ذات البّطل هي الأخرى كانت حاضرة في رواية " غفوة العادل " التي أبانت عن الحضارة الباريسية في " أرزقي " الذي كان يدرس هناك مدّة معيّنة ، وبعد عودته إلى وطنه ، صعب عليه أن يتأقلم مع قريته في بلاد القبائل ، ولعلّ التأثير هنا كان داخليا فنّيا ، فالكاتب كان يبثّ بعض ما حدث له في ذات الشّخصية ، بطلا أو غيره ، وقد

قامت " شريفي " بتوضيح بعضا من ذلك في الدّراسة الفنّية لمضمون التأثيرات في الثّلاثية كتأثير المذاهب الأدبية ، الأدباء الغربيين ، الأثر الثّقافي وغير ذلك . أمّا العمل الثّاني الذي يدخل في سياق عكسي مع العمل الأوّل وذلك في أثر أدب في أدب آخر وهو " تأثير الرّواية الجزائرية في الرّواية الفلسطينية " للباحثة رائدة عبد اللّطيف حسن ياسين ، وهو من الأعمال النّادرة التي طرقت باب البلدين وأدبهما ، ورأى من خلالها مجال التأثيرات النّور ، فهذه الدّراسات ورغم كثرتها في البيئة العربية نجد إجحافها واضحا في بلادنا كبقية المناهج الأخرى في ميدان الدّراسات المقارنة. اختارت الباحثة في تبيين التأثر الذي حدث من الرواية الفلسطينية للجزائرية " أحلام مستغانمي" كطرف مؤثّر و"يوسف العيلة" كطرف متأثّر، وهما نموذجان معاصران ممن شهدت الرّواية العربية تطوّرها من بعض ما كتبوه .فطرحت الكاتبة جانبا من اختيار البحث في إطار عربي ـ عربي تمنعه بعض المناهج كالتاريخي الفرنسي،في حين تحتضنه المدرسة الأمريكية ذات الطابع المتجدّد.

والباحثة في هذا السّياق كانت أكثر جرأة حين استطاعت الجمع بين طرفين عربين من حيث التأثّر الروائي بينهما ، وإن كان الجامع بين أطراف التأثّر الأوّل هو الاستعمار فإنّ الجامع بين الطرفين في هذه الدّراسة هو مجموعة من الرّوابط ((ويعود اختيار الجزائر وفلسطين دون غيرهما ، لما خبره كل الشّعبين الجزائري والفلسطيني من ثورات وحروب أهلية جعلت الهمّ والحزن قاسما مشتركا بين روائييهم ومثقفهيم))[15]

وفي هذا من الشّروط التي بنتها مدارس الأدب المقارن في عقد التأثيرات بين عملين يخضعان إلى ذلك التّشابه في مضامين وأشكال أدبهما ،بالإضافة إلى تقاطعات أخرى كالروائي الفلسطيني"عيلة" وحديثه المباشر عن تأثّره بـ "أحلام مستغانمي" ، حسب ما ذكرت الباحثة . أمّا عن مضامين التأثّر فيبدأ هذا من العناوين "ذاكرة الجسد " مع " غزل الذّاكرة "، وكذا " فوضى الحواس" ، "عابر سرير" و " زمن المرايا " ، فالتأثير كان ممتدّا من الرواية الفلسطينية التي يمثّلها " العيلة " ، فالعناوين جاءت مشابهة لبعضها يظهر التأثّر فيها وهو ما أكدته الباحثة في العنوانين الأوّلين ، فأخذت بالدّراسة كلّا من العنوانين للوصول إلى التأثيرات الواردة ((وممّا يعزّز تأثّر "العيلة"بـ " مستغانمي "، واستلهامه روايتها ، تناصّ عنوان روايته مع عنوانها، ليس فقط في كلمة " ذاكرة" بل في كلمة " الجسد "، التي تكرّر ورودها في نصّه 75مرّة))[16] إذ يظهر في هذا الإطار التأثّر الضّمني في رواية " غزل الذّاكرة" الذي يظهر من دواخله وجود الذّاكرة المفقودة في العنوان .

أمّا في إطار آخر فتذهب الباحثة أكثر من وجود العنوان إلى تقنيات السّرد واللّعب الرّوائيين ، وفي هذا أهميّة أكثر إذ قد يصادف وأن يكون العنوان واردا في تشابه بين الرّوايات دون أن يتأتى في ذلك تأثّر بين طرفين ، إلا أنّ البناء السّردي لا شكّ فيه وهو ما نجده بين الرّوايات المذكورة آنفا ((ويبدو تأثّر "العيلة" بـ " مستغانمي " في روايتها فوضى الحواس جليّا هنا ، حيث يجعل سرده متسلسلا كما فعلت ، يكمل الفصل اللّاحق أحداث السّابق ويبدأ بجديد يكمله التالي))[17]

ليس هذا فقط إنّما التأثير في هذا يزيد امتداده إلى استخدام الضّمائر ، المستويات المختلفة للسارد ، زاوية الرؤية.. وغيرها من العناصر السّردية المكوّنة للأعمال الرّوائية الجزائرية لـ " مستغانمي " وتأثيرها في الرّواية الفلسطينية لـ " العيلة" .

أمّا التأثير والتأثّر في بناء الزّمان فنجد كلّ ما يخصّ حركة الزّمان في الرّوايات كالزمن الكتابي ، الاستباقات ، المفارقات،دراسة هذه الأدوات فنّيا بإعمال المقارنات المختلفة والتأثّرات ((وكما تستمرّ المقارنة عند" مستغانمي"في فوضى الحواس"تستمرّ عند"العيلة" في "زمن المرايا"ويستمر الانتصار للماضي والانجذاب له،وشتم الحاضر))[18] ولا تكتمل التأثيرات في التشكيل الزّمني للرّوايات فقط ، إنمّا كانت شاملة على جميع العناصر المكوّنة للسّرد الرّوائي ، ولعلّ هذا كان من الأسباب التي من خلالها توضّحت التأثيرات ، وكانت الرّوايات والقصص فضاءً له خاصة الجزائرية منها.

وآخر ذلك "المكان ورمزية المرأة" ،إذ من خلالهما نجد أنّ التأثّر سيكتمل ،وقد تجسّد المكان في الرّوايات الفلسطينية محاكيا ومتأثّرا بالرّوايات الجزائرية ، فوحدة المكان ليست في التسمية إنّما في استخدام هذا الأخير ((وكما تبدأ " فوضى الحواس" بقسنطينة المكان الذي بدأت به" ذاكرة الجسد" ، تكون كافيتيريا الشّروق في القدس ، المكان الذي تبدأ به " زمن المرايا " كما بدأت " غزل الذّاكرة " ، وتكون الكافيتيريا المكان الذي يبدأ به الفصل الثّاني))[19]

وشمل المكان الحضور والغياب ، الأنسنة ، الرؤية ، الإيقاع ، علاقة الشّخصية به ... أمّا المرأة وتحوّلها إلى رمز في الرّوايات ، تدرس الكاتبة المرأة " المدينة " بين روايتي العيلة " غزل الذاكرة" ومستغانمي " ذاكرة الجّسد ، وتؤكد ارتباطها بالوطن ، الذي يدور هو الآخر بين جغرافيتين ، إضافة إلى بعض الرّموز التي ارتبطت بها ، كالقلادة في الرّواية الفلسطنية وأخذها من تلك الموجودة في " ذاكرة الجسد "((وهكذا يتشابه " العيلة " مع " مستغانمي " في

جعله أشياء الوطن وتراثه رمزا للوطن ودلالة عليه ، فيدلّ الشيء على المكان والجزء على الكلّ ، وتصير القلادة وطنا والوطن قلادة . يؤكّد "العيلة" في زمن المرايا على رمزية المرأة "عايدة" ورمزية القلادة كما فعلت " مستغانمي"))[20] وحتى فيما يتعلّق بالاختلاف من حيث الاستخدام في بعض الجزئيات ، تتحرّى الباحثة الموضوعية في ذلك وتبيّن ، وهو ما نجده في تفاصيل الدّراسة .

خاتمة :

كان لدراسة التأثير والتأثّر في الساحة الأدبية المقارنة وقع على تطوّر مختلف المنّاهج الأخرى كالصورائية والموضوعاتية والترجمات .. كما نجد في الجزائر مجال التأثيرات حذا حذوا مغايرا لمّا ركّز على السّرد كما فعلت ذلك " عايدة شريفي " في " أثّر الفرنسي في ثلاثية مولود معمري الرّوائية" التي أبانت من خلالها الأبعاد التي تربّع الفرنسي على الرّوايات الجزائرية منها تلك التي كانت باللغة الفرنسية .

أمّا من حيث المنهج فقد شهدت التأثيرات في هذا العمل مسارا مختلفا ، فمن جهة نجد الضّوء قد أنير على تلك الأعمال الّتي مثّلت قومية مختلفة بلغة الفرنسيين ، خاصة في تطبيق المنهج المقارن عليها ، ومن جهة أخرى تبيّن من خلال هذه الدّراسة، الشّفافية التي صاحبت ميدان التطبيقات المنصبّة في التأثير والتأثّر فقد حلّلت الباحثة " عايدة شريفي" كلّ ما يتعلقّ بثلاثة " مولود معمري " السّردية من تأثّير على حياة الكاتب وانعكاس ذلك في العمل . أمّا البحث الثّاني فقد تناول المضمون السّردي الجزائري في تأثيره على غيره ، ورغم أنّ الباحث فلسطيني إلّا أنّ ذلك يضيف إلى مدى تأثّر الآخر بالكتابات الجزائرية الحالية ، خاصة وأنّ " رائدة عبد اللّطيف " كانت أكثر تطوّرا حين طبقت الرؤية الأمريكية في مجال التأثير والتأثّر على الدرس الرّوائي العربي ، الذي كان الجزائري جزءًا منه. تبقى دراسة التأثير والتأثّر في البيئة العربية والجزائرية ، رغم تطوّر بعضها إلا أنّ آفاقها قد قطعت زمنا من التّحدّيات لبسط الرؤية نحو العمل الأدبي ، الذي جعل السّرد مناط الاهتمام .

الهوامش :

[1]. الطاهر أحمد مكّي ، الأدب المقارن ، أصوله وتطوره ومناهجه ، دار المعارف ،القاهرة، ط1، 1987، 269

[2]- سعيد علوش ، مدارس الأدب المقارن ،المركز الثّقافي العربي ، دمشق ، سوريا، ط1 ، 1987 ، ص62

[3] . أحمد شوقي رضوان، مدخل إلى الدّرس الأدبي المقارن ، دار العلوم العربية ، بيروت . لبنان ، ط1، 1990،ص34

[4] . سعيد علوش مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي ،الشركة العالمية للكتّاب،بيروت لبنان،سوشبريس،الدر البيضاء. المغرب ،ط1987،1، ص126

[5]. المصدر نفسه، ص 458

[6]. صغور أحلام ، واقع الدّراسات المقارنة في المغرب العربي ، كلّية الآداب واللّغات والفنون ، جامعة وهران السانية، 2008-2009، ص150-151

[7]. عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل . بيروت ، لبنان، ط1، 1991م،ص84

[8]المرجع السّابق ، ص 38

[9]. عبد الله ركيبي ، الأعمال الكاملة ، المجلّد الرابع ،دار الكتاب العربي ،2011، ص 151

[10]. عايدة شريفي، أثَر الفرنسي في ثلاثية مولود معمري الرّوائية ، كلّية الآداب واللّغات، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف،2012-2013 ، ص43

[11]. المرجع نفسه ، ص 51

[12]- المرجع السابق ، ص 114

[31] إيمان العامري ، صورة الثّورة التحريرية في الرّواية الجزائرية باللغة الفرنسية ، مجلّة البّحوث والدّراسات الإنسانية العدد10/ 2015،جامعة سكيكدة، ص185

[14]المرجع السّابق ، ص 204

[15]. رائدة عبد اللّطيف حسن ياسين ،تأثير الرّواية الجزائرية في الرّواية الفلسطينية ،كلّية الدّراسات العليا ،جامعة النّجاح الوطنية فلسطين، 2005،ص3

[16]. المرجع السّابق، ص 31

[17]. رائدة عبد اللّطيف حسن ياسين ،تأثير الرّواية الجزائرية في الرّواية الفلسطينية، ص 85

[18]. المرجع السّابق ، ص 159

[19]. رائدة عبد اللّطيف حسن ياسين ،تأثير الرّواية الجزائرية في الرّواية الفلسطينية ، ص 216

[20]. المرجع نفسه، ص 241